محاضرات علم النفس النمو(مرحلة٢) كلية التربية القرنة/قسم علوم الحياة

-نظرية بياجية في النمو العقلي و المعرفي

تناولت نظرية بياجيه للنمو المعرفي كيفية تشكل الصورة الذهنية للعالم عند الطفل. ولم يكن بياجيه يرى أن الذكاء هو بالأساس سمة ثابتة وموروثة، بل اعتبر النمو المعرفي عملية تحدث بسبب النضج البيولوجي (الحيوي) والتفاعل مع البيئة، ويمر الأطفال خلال هذه العملية بسلسلة من المراحل -حسب بياجيه- هي:

المرحلة الحسية الحركية (من الولادة وحتى ١٨-٢٤ شهر)

مرحلة ما قبل الحس/العمليات (من ٢- ٧ سنوات)

مرحلة العمليات الحسية (٧ – ١١ سنة)

مرحلة الفكر الحدسي والعمليات المجردة (من سن ١٢ فما فوق)

تسلسل هذه المراحل عالمي، أي أنه يسري على مختلف الثقافات ويتبع نفس الترتيب الثابت حيث يمر جميع الأطفال بنفس المراحل بنفس الترتيب (ولكن ليس جميعهم بنفس المعدل)

كيف طور بياجيه نظريته؟

عمل بياجيه في معهد "بينت" في عشرينات القرن الماضي، حيث تمثّلت وظيفته في إعداد نماذج أسئلة باللغة الفرنسية في اختبارات الذكاء الإنجليزي وقد كان مندهشًا بالأسباب التي ذكرها الأطفال عند اجابتهم على الاسئلة التي تتطلب تفكيرًا منطقيًا بطريقة خاطئة، حيث اعتقد أن هذه الإجابات غير الصائبة تكشف فوارق جوهرية بين تفكير البالغين و الأطفال.

خرج بياجيه بمجموعة جديدة من الافتراضات حول ذكاء الأطفال:

يختلف ذكاء الأطفال عن ذكاء البالغين في الكيف وليس في الكم، وهذا يعني أنّ الأطفال يفكرون بشكل مختلف عن الكبار ويرون العالم بطرق مختلفة.

يشارك الأطفال في تكوين معرفتهم حول العالم، فهم ليسوا مخلوقات سلبية تنتظر من يملأ رؤوسهم بالمعرفة.

أفضل طريقة لفهم تفكير الأطفال هي رؤية الأشياء من وجهة نظرهم.

ما أراد بياجيه فعله ليس قياس مدى قدرة الأطفال على العد أو التهجئة أو حل المشكلات، واعتبار هذه المهارات دليلًا على معدل ذكائهم، بل كان أكثر اهتمامًا بالطريقة التي ظهرت عليها المفاهيم الأساسية مثل فكرة العدد والشعور بالزمن والكم وإدراك السببية وما إلى ذلك.

درس بياجيه الأطفال من سن الرضاعة إلى سن المراهقة باستخدام الملاحظة الطبيعية لأطفاله الثلاثة وأحيانًا باستخدام الملاحظات الخاضعة للرقابة أيضًا، ومن خلالهم كتب أوصافًا توضح نموهم المعرفي.

كما استخدم المقابلات والملاحظات السريرية للأطفال الأكبر سنًا الذين تمكنوا من فهم الأسئلة وإجراء المحادثات.

مراحل بياجيه الأربع للنمو المعرفي

تنص نظرية جان بياجيه للنمو المعرفي أن الأطفال ينتقلون عبر أربع مراحل مختلفة من النمو الفكري والتي تعكس النمو المتزايد لفكر الطفل.

١-المرحلة الحسية الحركية

العمر: من الميلاد حتى سنتين

الخصائص الرئيسية والتغيرات التنموية:

يتعلم الرضيع أمورًا عن العالم من خلال حواسه وأفعاله (التنقل واستكشاف بيئته.(

خلال المرحلة الحسية، تتطور مجموعة من القدرات المعرفية، وتشمل هذه: معرفة وجود الأشياء مستقلةً عن إدراكه لها، والتقدير الذاتي، والتقليد، واللعب التمثيلي.

تتعلق هذه المرحلة بظهور الوظيفة الرمزية العامة، وهي القدرة على تمثيل العالم عقليًا.

. خلال هذه المرحلة، يعيش الرضيع في وقته الحاضر، فليس لديه حتى الآن صورة ذهنية للعالم مخزنة في ذاكرته.

يبدأ الطفل في تكوين قدرة على تخزين المعلومات التي يعرفها عن العالم واستعادتها وتسميتها.

-مرحلة ما قبل الحس

العمر: ٢ – ٧ سنوات

الخصائص الرئيسية والتغيرات التنموية:

يكتسب الأطفال القدرة على تمثيل العالم داخليًا من خلال اللغة والصور الذهنية.

خلال هذه المرحلة، يمكن للأطفال الصغار التفكير في الأشياء بشكل رمزي، وهذه هي القدرة على جعل شيء واحد مثل كلمة أو شيء، يمثل شيئًا آخر غير نفسه.

يهيمن على تفكير الطفل كيف يبدو العالم، وليس كيف يكون العالم. إنهم ليسوا قادرين بعد على التفكير المنطقي (حل المشكلات.(

أنّ التفكير لا يزال في هذه المرحلة بديهيًا (يستند إلى أحكام ذاتية) وأنانيًا (يتمحور حول نظرة الطفل الخاصة للعالم.(

-مرحلة الوظيفة الحسية

العمر: ٧ – ١١ سنة

الخصائص الرئيسية والتغيرات التنموية:

خلال هذه المرحلة ، يبدأ الأطفال بالتفكير المنطقي في الأشياء المادية.

يبدأ الأطفال في إدراك مفهوم "جوهر" الشيء، أي إدراك أنه على الرغم من أن الأشياء قد تتغير في مظهرها، إلا أن بعض الخصائص تظل كما هي.

خلال هذه المرحلة، يمكن للأطفال عكس الأشياء عقليًا، على سبيل المثال، كتخيُّل كرة من البلاستيسين (نوع من المواد كالصلصال) تعود إلى شكلها الأصلي.

خلال هذه المرحلة، يصبح الأطفال أيضًا أقل تمركزًا حول الذات، ويبدأون في التفكير بالطريقة التي قد يفكر بها الآخرون ويشعرون بها.

تسمى المرحلة حسية لأن الأطفال يمكن أن يفكروا بشكل منطقي أكثر نجاحًا إذا تمكنوا من التلاعب بالأشياء المادية الحقيقية أو صورها الذهنية.

-مرحلة الفكر الحدسي

العمر: ١٢ وما فوق

الخصائص الرئيسية والتغيرات التنموية:

يتم تنفيذ عمليات مادية على الأشياء بينما يتم تنفيذ العمليات التجريدية على الأفكار، كما يتحرر الفكر التجريدي تمامًا من القيود المادية.

خلال هذه المرحلة، يمكن للمراهقين التعامل مع الأفكار المجردة (على سبيل المثال، عدم الحاجة إلى التفكير في تقطيع الكعك أو تقسيم الحلوى لإدراك مفهوم التقسيم والكسور.(

يمكنهم اتباع شكل الحجة دون الحاجة إلى التفكير في أمثلة محددة.

يمكن للمراهقين التعامل مع المشكلات الافتراضية بالعديد من الحلول الممكنة.

نقد نظرية بياجيه

نظرًا لأن بياجيه ركّز على المراحل العالمية للنمو المعرفي والنضج البيولوجي، فقد فشل في النظر في تأثير البيئة الاجتماعية والثقافة على النمو المعرفي.

نظرًا لأن بياجيه أجرى الملاحظات وحده، فإن البيانات التي تم جمعها تستند إلى تفسيره الشخصي للأحداث. كان من الممكن أن يكون أكثر موثوقية إذا أجرى بياجيه الملاحظات مع باحث آخر وقارن النتائج بعد ذلك للتحقق مما إذا كانت متشابهة.

كما أظهرت العديد من الدراسات، استخفاف بياجيه بقدرات الأطفال لأن اختباراته كانت أحيانًا مربكة أو يصعب فهمها

درس بياجيه أطفاله وأطفال زملائه في جنيف من أجل استنتاج مبادئ عامة حول النمو المعرفي لجميع الأطفال. لم تكن عينته صغيرة جدًا فحسب، بل كانت تتألف فقط من أطفال أوروبيين من أسر ذات مكانة اجتماعية واقتصادية عالية. لذلك شكك الباحثون في قابلية تعميم بياناته.

بالنسبة لبياجيه، يُنظر إلى اللغة على أنها ثانوية للتفكير والفعل،لكن تطور اللغة والفكر يسيران معًا وأن أصل التفكير يتعلق بقدرتنا على التواصل مع الآخرين أكثر من تفاعلنا مع العالم المادي.